علم البديع

البديع لغة المُخترَع المُوجَد على غير مثال سابق ، وهو مأخوذ من قولهم بدع الشئَ ، وأبدعه اخترعَه لاعلى مثال (١)

واصطلاحاً هو علم يُعرَف به الوجوه (٢) والمزايا التى تزيد الكلام حسناً وطلاوة وتكسوه بهاءً ورونقاً بعد مطابقته لمقتضى الحال ووضوح دلالته على المراد

وواضعه عبد الله بن المُعتَز المُتوفَّى سنة ٢٧٤ هجرية ـ ثم اقتفى أثره

---

(١) البديع فعيل بمعنى مُفعِل أو بمعنى مفعول ـ ويأتى البديع بمعنى اسم الفاعل فى قوله تعالى « بديع السموات والارض » أى مبدعها

(٢) وجوه التحسين أساليب وطرق معلومة وضعت لتزيين الكلام وتنميقه . وتحسين الكلام بعلمى المعانى والبيان « ذاتى » و بعلم البديع « عرضى »

ووجوه التحسين إما معنوية و إما لفظية .

فالبديع المعنوى هو الذى وجبت فيه رعاية المعنى دون اللفظ فيبقى مع تغيير الالفاظ كقوله : أتطلب صاحباً لا عيب فيه وأنت لكل من تهوى رَكوب

ففى هذا القول ضربان من البديع (هما الاستفهام والمقابلة) لا يتغيران بتبدل الألفاظ كما لو قلت مثلا : كيف تطلب صديقاً منزها عن كل نقص ، مع أنك أنت نفسك ساع و راء شهواتك ؟

والبديع اللفظى ـ هو ما رجعت وجوه تحسينه الى اللفظ دون المعنى فلا يبقى الشكل اذا تغير اللفظ ـ كقوله

قُدَامة بن جعفر الكاتب ، ثم ألّف فيه كثيرون كأبى هلال العسكرى وابن رشيق القيروانى ، وصفى الدين الحلى ، وابن حِجّة الحَموى ـ وغيرهم وفى هذا العلم ، بابان وخاتمة

الباب الاول فى المحسنات المعنوية

(١) ﴿التورية[١]﴾

التّورية لغة ـ مصدر ورّيت الخبر تورية إذا سترته ، وأظهرت غيره واصطلاحاً ـ هى أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان ، أحدهما قريب

إذا ملك لم يكن ذاهبه فدعه فدولته ذاهبه

فانك إذا أبدلت لفظة (ذاهبة) بغيرها ولو بمعناها فيسقط الشكل البديعى بسقوطها

وملخص القول أن المحسنات المعنوية هى ما كان التحسين بها راجعاً إلى المعنى أولا وبالذات ، وان حسنت اللفظ تبعاً ـ والمحسنات اللفظية هى ما كان التحسين بها راجعاً إلى اللفظ بالاصالة ، وان حسّنت المعنى تبعاً

وقد أجمع العلماء على أن هذه المحسنات خصوصاً اللفظية منها لا تقع موقعها من الحسن إلا اذا طلبها المعنى فجاءت عفواً بدون تكلّف والاّ فمبتذلة .

(١) التورية أن يطلق لفظ له معنيان . أحدهما قريب . والاخر بعيد فيراد البعيد منهما ، ويورّى عنه بالقريب

وتنقسم التورية إلى أربعة أقسام ـ مجردة . ومرشحة . ومبينة . ومهيأة

١ فالمجردة ـ هى التى لم تقترن بما يلائم المعنيين كقول الخليل لما سأله الجبار عن زوجته : فقال « هـذه أختى » ـ أراد أخوة الدّين . وكقوله (وهو الذى يتوفّاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار)

ظاهر غير مُراد ، والآخر بعيد خفيٌّ هو المراد بقرينة ، ولكنه ورّى عنه بالمعنى القريب ، فيتوهّم السامع لأول وهلة أنه مُراد وليس كذلك كقوله تعالى (وَهوَ الذِى يَتَوَفّاكُمْ بِاللَيلِ وَيَعْلَمُ مَاجَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ) أراد بقوله جرحتم معناه البعيد وهو ارتكاب الذنوب ، ولأجل هذا سُمِّيت التَّوْرية « إيهاماً وتخييلا » وكقول سراج الدين الورّاق

---

٢ والمرشحة ـ هى التى اقترنت بما يلائم المعنى القريب وسمّيت بذلك لتقويتها به لان القريب غير مراد فكأنه ضعيف فاذا ذكر لازمه تقوّى به نحو (والسماء بنيناها بأيد) فانه يحتمل الجارحة وهو القريب ، وقد ذكر من لوازمه البنيان على جهة الترشيح ويحتمل القدرة وهو البعيد المقصود ، وهى قسمان باعتبار ذكر اللازم قبلها أو بعدها

٣ والمبينة ـ هى ما ذكر فيها لازم المعنى البعيد ـ سميت بذلك لتبيين المورّى عنه بذكر لازمه ، اذ كان قبل ذلك خفياً فلما ذكر لازمه تبيّن : نحو

يا من رآنى بالهموم مطوقا وظللت من فقدى غصونا فى شجون
أتلومنى فى عظم نوحى والبكا شأن المطوق أن ينوح على غصون

وهى أيضا قسمان باعتبار ذكر اللازم قبل أو بعد

٤ والمهيأة ـ هى التى لاتقع التورية فيها الا بلفظ قبلها أو بعدها ، فهى قسمان أيضا فالأول ـ وهو ما تتهيأ بلفظ قبل ، نحو قوله

وأظهرت فينا من سماتك سنّة فأظهرت ذاك الفرض من ذلك النّدب

فالفرض والندب معناهما القريب الحكمان الشرعيان

والبعيد . الفرض معناه العطاء والندب الرجل السريع فى قضاء الحوائج ، ولولا ذكر السُّنة لما تهيأت التورية ولا فُهم الحكمان .

والثانى ـ وهو ما تتهيأ بلفظ بعد: كقول الامام على رضى الله تعالى عنه فى الاشعث ابن قيس أنه كان يحرك الشمال باليمين ، فالشمال معناها القريب ضد اليمين ، والبعيد جمع

أَصونُ أديمَ وجهى عن أُناسٍ لقاءُ الموتِ عندهُمُ الأَديبُ
ورَبُّ الشّعر عندهُمُ بغيض ولو وافى به لهُمُ « حبيبُ »

وكقوله — أبيات شعرك كالقصـــور ولا قصور بها يعوقْ
ومن العجائب لفظها حُرٌّ ومعناها « رقيقْ »

(٢) الاستخدام

هو ذكر لفظ مُشترَك بين معنيين يُراد به أحدهما. ثم يُعاد عليه ضمير أو إشارة بمعناه الآخر، أو يُعاد عليه ضميران يُراد بثانيهما غير ما يراد بأولهما

فالأول — كقوله تعالى (فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) أُريدَ بالشّهر الهلال، وبضميره الزّمان المعلوم، وكقول معاوية بن مالك

اذا نزل السماء بأرض قوم رَعيناه وان كانوا غِضابا

أراد بالسماء المطر، وبضميره فى «رعيناه» النبات[1] وكلاهما معنى مجازى للسماء

شملة، ولولا ذكر اليمين بعده لما فهم منه السامع معنى اليد الذى به التورية: ومن المجردة قوله

حملنا هموا طراً على الدهم بعدما خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

فان الدهم له معنيان — قريب وهو الخيل الدهم، وليس مراداً. و بعيد وهو القيود الحديد السود وهو المراد. ومن المرشحة قوله تعالى (قاتلوهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) فان المراد من اليد الذلة وقد اقترنت بالاعطاء الذى يناسب المعنى القريب وهو العضو

(١) ملخص الاستخدام هو أن يؤتى بلفظ له معنيان فيراد به أحدهما، ثم يضميره المعنى الآخر كقول الشاعر

وللغزالة شيٌ من تلفتّه ونورها من ضيا خديه مكتسب

والثانى — كقول البُحترى

فسقى الغضا والسّاكِنيه وان هموا شبُّوه بين جوانحى وضلوعى

الغضا شجر بالبادية ، وضمير ساكنيه راجع الى الغضا باعتبار المكان وضمير شبوه يعود اليه بمعنى النار الحاصلة من شجر الغضا ، وكلاهما مجاز للغضا

(٣) الاستطراد

هو أن يخرج المتكلم من الغرض الذى هو فيه الى آخر لمناسبة بينهما ثم يرجع الى إتمام الأول كقول السموءل

وإنّا أُناس لا نرى القتل سبّة إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ

يقرّب حبّ الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالُهم فتطولُ

ومامات منّا سيدٌ حَتف أنفه ولا طُلَّ منّا حيثُ كان قتيل

فسياق القصيدة للفخر ، واستطرد منه منتقلا الى هجو قبيلتى « عامر وسلول » ثم عاد الى مقامه الأول وهو الفخر بقومه — ومنه قول الآخر

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة فان تسلّت أسلناها على الأسل

أراد الشاعر بالغزالة الحيوان المعروف . و بضمير (نورها) الغزالة بمعنى الشمس

وكقوله رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره مُتيّم لجّ فى الاشواق خاطرهُ

وكقوله إذا لم أبرقع بالحيا وجه عفّتى فلا أشتهته راحتى بالتّكرّم

ولا كنت ممن يكسر الجفن بالوغى إذا أنا لم أغضضه عن رأى محرّم

وقال الآخر فى الدعاء أقرّ الله عين الأمير وكفاه شرها . وأجرى له عذبها . وأكثر لديه تبرها — وكقول الشاعر

رحلتم بالغداة فبتُّ شوقاً أسائل عنكم فى كل ناد

لا ينزلُ المجد الا فى منازلنا كالنوم ليس له مأوى سوى المُقَل

(٤) ﴿الافتنان﴾

هو الجمع بين فنَّين مختلفين ، كالغزل ، والحماسة ، والمدح ، والهجاء والتّعزية والتهنئة ـ كقول عبد الله بن همّام السلولى ، « جامعا بين التعزية والتهنئة » حين دخل على يزيد وقد مات أبوه معاوية ، وخلفه هو فى الملك « آجرك الله على الرَّزيّة ، وبارك لك فى العطيَّة ، وأعانك على الرعيَّة فقد رُزئتَ عظيماً » وأُعطيتَ جسيما ، فاشكر الله على ما أُعطيتَ ؛ واصبر على ما رُزيت ، فقد فقدت الخليفة . وأُعطيت الخلافة ، ففارقت خليلا ووُهبت جليلاً »

اصبر يزيدُ فقد فارقتَ ذا ثقة واشكرْ حباء الذى بالملك أصفاكَ
لارُزءَ أصبح فى الأقوام نعلمه كما رُزئت ولا عقبى كعقباكَ

وكقول عنترة يخاطب عَبلة

ولقد ذكرتكِ والرِّماح نواهلٌ منِّى وبِيضُ الهند تقطُر من دمى
فوددتُ تقبيل السُّيوف لأنها لمعت كبارقِ ثَغركِ المُتبسِّم

(٥) ﴿الطباق[1]﴾

الطّباق هو الجمع بين الشئ وضدّه فى الكلام . وهما قد يكونان

أراعى النجم فى سيرى اليكم ويرعاه من البَيْدا جوادى

(١) ويسمى بالمطابقة . وبالتضاد . وبالتطبيق . وبالتكافؤ . وبالتطابق ـ وهو الجمع فى الكلام بين معنيين متقابلين سواء أكان ذلك التقابل تقابل الضدين

اسمين ـ نحو: (هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ) « وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود »
أوفعلين — نحو: (هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى) « ثم لا يموت فيها ولا يحيا »
أو حرفين — نحو : (ولَهُنَّ مثلُ الذى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)
أو مختلفين — نحو : (وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَالَهُ مِنْ هَادٍ)(١)
ونحو : « من كان ميتا فأحييناه »

(٦) ﴿ المقابلة ﴾

هى أن يُؤْتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ، ثم يُؤْتى بما يقابل ذلك على الترتيب كقوله تعالى (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وصَدَّقَ بالحسنى فَسَنُيَسِّرُهُ لليُسْرى ، وأمَّا مَنْ بَخِلَ واسْتَغْنَى وكَذَّبَ بالحسنى فَسَنُيَسِّرُهُ للعُسْرَى ، وكقوله تعالى (يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ويُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)
وقال صلى الله عليه وسلم للانصار (إنكم لتكثرون عند الفزع وتقِلُّون عند الطمع) وقال خالد بن صفوان يصف رجلا : ليس له صديق

أو النقيضين أو الايجاب والسلب . أو التضايف

(١) والطباق ضربان: أحدهما طباق الايجاب وهو مالم يختلف فيه الضدان ايجابا وسلبا، نحو (تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء وكقوله

حلو الشمائل وهو مرّ باسل يحمى الذمار صبيحة الارهاق

وثانيهما طباق السلب وهوما اختلف فيه الضدان ايجاباً وسلباً بحيث يجمع بين فعلين من مصدر واحد ـ أحدهما مثبت والآخر منفى ـ نحو (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله) ونحو (لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا)
أو أحدهما أمر والآخر نهى نحو (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) ونحو : لا تخشوا الناس واخشونى

فى السرِّ ولا عدوٌّ فى العلانية . وقال :

وباسطُ خيرٍ فيكمُ بيمينه — وقابض شر عنكُم بشماله ـ وكقوله

ما أحسن الدِّين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والأفلاس بالرجل

(٧) ﴿ مراعاة النظير [1] ﴾

هى الجمع بين أمرين أو أمور متناسبة لا على جهة التضاد ، وذلك إمّا بين اثنين — نحو (وَهُوَ السَّمِيعُ البصيرُ)

وإمّا بين أكثر — نحو (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ)

ويلحق بمراعاة النظير ما بُنِي على المناسبة فى «المعنى» بين طرفى الكلام يعنى أن يختم الكلام بما يناسب أوله فى المعنى نحو (ولا تدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الابْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)

فان «اللطيف» يناسب عدم إدراك الأبصار له ، و «الخبير» يناسب ادراكه سبحانه وتعالى للأبصار

أو ما بُنِي على المناسبة فى « اللفظ » باعتبار معنى له غير المعنى المقصود

ويلحق بالطباق ما بنى على المضادة تأويلا فى المعنى نحو (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) فان التعذيب لا يقابل المغفرة صريحا لكن على تأويل كونه صادراً عن المؤاخذة التى هى ضد المغفرة . أو تخييلا فى اللفظ باعتبار أصل معناه ـ نحو (من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير) أى يقوده فلا يقابل الضلالة بهذا الاعتبار ولكن لفظه يقابلها فى أصل معناه . وهذا يقال له « ايهام » التضاد

(١) وتسمى بالتناسب والتوافق والائتلاف .

فى العبارة نحو (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ) فان المراد « بالنجم » هنا النبات، فلا يناسب «الشمس» و«القمر» ولكن لفظه يناسبهما باعتبار دلالته على الكواكب. وهذا يقال له « إيهام التناسب » كقوله

كأنّ الثّريا علّقت فى جبينها وفى نحرها الشّعرى وفى خدّها القمرُ

(٨) (الارصاد)

هو أن يذكر قبل الفاصلة « من الفقرة أو القافية من البيت » ما يدلُّ عليها إذا عُرف الرّوى ، نحو : (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) ونحو : وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون [1] وكقول الشاعر .

أحلّت دمى من غير جُرم وحرّمت بلا سبب عند اللّقاء كلامى

فليس الذى حللته بمحلّلٍ وليس الذى حرّمته بمحرّم

ونحو : إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

وقد يستغنى عن معرفة الروىّ ، نحو : (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)

(٩) (الادماج)

هو أن يُضمَّن كلامٌ سيق لمعنى معنى آخر لم يُصرحْ به ، كقوله المتنبى

---

(١) فالسامع إذا وقف على قوله تعالى « قبل طلوع الشمس » بعد الاحاطة بما تقدم علم أنه « وقبل الغروب » كذلك البصير بمعانى الشعر وتأليفه إذا سمع المصراع الاول

أُقلِّبُ فيه أجفانى كأنِّى أعُدُّ بها على الدهر الذُّنوبا

ساق الشاعر الكلامَ أصالة لبيان طول الليل ، وأدمج الشكوى من الدهر فى وصف الليل بالطول

(١٠) ﴿ المذهب الكلامى ﴾

هو أن يُورِد المتكلم على صحة دعواه حُجَّة قاطعة مُسلَّمة عند المخاطب بأن تكون المقدِّمات بعد تسليمها مستلزمةً للمطلوب

كقوله تعالى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا) واللّازم وهو الفساد باطل ، فكذا الملزوم وهو تعدُّد الآلهة باطل

ونحو :(يا أيها الناس إن كُنتم فى ريب من البعث فأنّا خلقناكم من تراب)

ونحو قوله تعالى (وَهُوَ الذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) أى وكل ماهو أهون عليه فهو أدخل تحت الامكان ، فالاعادة ممكنه

(١١) ﴿ حسن التعليل ﴾

حسن التعليل ، أن يُنكِرَ الأديبُ صراحةً أو ضمناً علةَ الشئ المعروفةَ ، ويأتى بعلة أدبيّة طريفة تناسب الغرض الذى يرمى اليه

يعنى أن الشّاعرَ أو النّاثرَ يدّعى لوصفٍ علةً غير حقيقية مناسبةً له باعتبارٍ لطيف ، مشتمل على دِقّةِ النّظر ـ كقول المعرِّى فى الرثاء

وما كُلْفَةُ البدر المنير قديمةً ولكنّها فى وَجْهِهِ أَثَرُ اللّطمِ

علم أن العجز ليس الا ما قاله الشاعر

يقصد ان الحزن على المرثى شمل كثيراً من مظاهر الكون ، فهو لذلك يدّعى أن كلفة البدر (وهى ما يظهر على وجهه من كدرة) ليست ناشئة عن سبب طبيعى ، وانما هى حادثة من أثر اللطم على فراق المرثى ، ومثله قوله

أما ذُكاء فلم تصفرَّ إذ جنحت إلا لفرقة ذاك المنظرِ الحسَنِ

يقصد أنّ الشمس لم تصفر عند الجنوح الى المغيب للسبب المعروف ولكنها اصفرت مخافة ان تفارق وجه الممدوح — ومثله قول الشاعر

ما قصَّر الغيثُ عن مصرٍ وتربتها طبعاً ولكن تعدّاكم من الخجل

ينكر هذا الشاعر الأسبابَ الطبيعيةَ لقلة المطر بمصر ، ويلتمس لذلك سبباً آخر : وهو أن المطر يخجل ان ينزل بأرض يعمُّها فضلُ الممدوح جوده ، لانه لا يستطيع مباراته فى الجود والعطاء

ولا بد فى العلة أن تكون ادّعائيةً ، ثم الوصف أعمّ من أن يكون ثابتاً فيُقصد بيانُ علته ، أو غير ثابت فيراد اثباته

فالأول (١) وصفٌ ثابتٌ غير ظاهر العلة كقوله

بين السيوف وعينيها مشاركة من أجلها قيل للأجفان أجفان

وقوله — لم يحك نائلك السحاب وانما حمّت به فصيبها الرحضاء (١)

وقوله — زعم البنفسج أنه كعذاره حُسْناً فسلُّوا من قفاه لسانه

فخروج ورقة البنفسج الى الخلف لا علّة له ، لكنه ادّعى أن علتَه

---

(١) أى أن السحائب لا تقصد محاكاة جودك بمطرها لأن اعطاءك المتتابع أكثر من مائها وأغزر . ولكنها حمت حسداً لك . فالماء الذى ينصب منها هو عرق تلك الحمى — فالرحضاء عرق الحمى — ومنه قول ابن رشيق

الافتراء على المحبوب

(ب) أو وصف ثابت ظاهر العلة غير التى تذكر كقول المتنبى

ما به قتلُ أعاديه ولـكن يتّقى إخلاف ما ترجو الذئاب

فان قتل الأعادى عادة للملوك لاجـل أن يسلموا من أذاهم وضَرّهم ولـكنّ المتنبى اخترع لذلك سبباً غريباً فتخيل أن الباعث له على قتل أعاديه لم يكن إلاما اشتهر وعرف به حتى لدى الحيوان الأعجم من الـكرم الغريزى ومحبته إجابةطالب الاحسان ، ومن ثَم فتك بهم لانه علم أنه إذا غدا للحرب رجَت الذئاب أن يتّسع عليها رزقها . وتنال من لحوم أعـدائه القتلى ، وما أراد أن يخيب لها مطلباً

والثانى وصف غير ثابت ، وهو إما ممكن — كقول مسلم بن الوليد

ياواشياً حسنت فينا إساءته نجىّ حذارك إنسانى من الغرق

فاستحسان إساءة الواشى ممكن ، ولـكنه لما خالف الناس فيه عقبه بذكر سببه ، وهوأن حذاره من الواشى منعه من البكاء ، فسلم انسان عينه

سألت الارض لِمْ كانت مصلّى ولِمْ جُعِلتْ لنا طهراً وطِيبا

فقالت غير ناطقة لأنى حويت لـكل انسان حبيبا

ومن حسن التعليل قوله

ما زلزلت مصر من كيد يراد بها وإنما رقصت من عدله طربا

وكقول الآخر

أرى بدر السّماء يلوح حينا ويبدو ثم يلتحف السّحابا

وذاك لأنه لمـا تبدّى وأبصر وجهك استحيَا وغابا

مِنَ الغرق فى الدموع

وإمّا غير ممكن — كقول الخطيب القزوينى

لولم تكن نِيّة الجوزاء خدمته لما رأيت عليها عِقد مُنتطق

جعل الشاعر علة شدّ الجوزاء النطاق فى وسطها خدمة الممدوح وهى صفة غير ممكنة. فقصد اثباتها على خلاف الواقع (١)

(١٢) (التجريد)

هو لغة ازالة الشئ عن غيره، واصطلاحاً أن ينتزعَ المتكلم من أمر ذى صفة أمراً آخر مثلَه فى تلك الصفة، مبالغة فى كمالها فى المنتزع منه، حتى أنه قد صار منها بحيث يمكن أن ينتزع منه موصوف آخر بها، وهو أقسام.

«ا» منها ما يكون بواسطة مِنْ التجريدية كقولك: لى من فلان صديق حميم (أى بلغ فلان من الصداقة حداً صح معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها) ونحو: ترى منهم والأُسد الغضاب اذا سطوا وتنظر منهم فى اللقاء بدوراً

«ب» ومنها ما يكون بواسطة الباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه نحو قولهم: لئن سألت فلاناً لتسألنّ به البحر، بالغ فى اتصافه بالسماحة حتى انتزع منه بحراً فيها

---

(١) ومثله قول ابن المعتز

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل نالها الوصبُ

حُمرتها من دماء مَنْ قتلت والدّم فى السّيف شاهدٌ عجب

وكقوله:

فلئن بقيت لأرحلنّ بغزوة تحوى الغنائم أو يموت كريم

«ج» ومنها مالا يكون بواسطة نحو :(وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر)

«د» ومنها ما يكون بطريق الكناية كقول الأعشى

ياخير من ركب المطىّ ولا يشرب كأساً بكفّ من بخلا [1]

(١٣) ﴿المشاكلة﴾

هى أن يذكر الشئ بلفظ غيره لوقوعه فى صُحبته ، كقوله تعالى (تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَا أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ) المراد ولا أعلم ما عندك

وعبّر بالنفس للمُشاكلة . ونحو (نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ) أى أهملهم . ذكر الاهمال هنا بلفظ النسيان لوقوعه فى صحبته

ومن ذلك ما حكى عن أبى الرقمع أن أصحاباً له أرسلوا يدعونه الى الصبوح فى يوم بارد ويقولون له ماذا تريد أن نصنع لك طعاماً ، وكان فقيراً

---

(١) أى يشرب الكأس بكف الجواد — انتزع منه جواداً يشرب هو بكفه على طريق الكناية . لان الشرب بكف غير البخيل يستلزم الشرب بكف الكريم وهو لا يشرب الا بكف نفسه . فاذاً هو ذلك الكريم

ومن التجريد خطاب المرء نفسه كقول المتنبى

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

أى الغنى ـ فقد انتزع من نفسه شخصا آخر وخاطبه: وهذا كثير فى كلام الشعراء وانما سمّى هذا النوع تجريداً لأن العرب تعتقد أن فى الانسان معنى كامناً فيه كأنه حقيقته ، فتخرج ذلك المعنى الى ألفاظها مجرداً عن الانسان كأنه غيره ـ وفائدة هذا النوع (مع التوسع) أن يثبت الانسان لنفسه مالا يليق التصريح بثبوته له

ليس له كسوة تقيه من البرد ، فكتب اليهم يقول

أصحابنا قصدوا الصُّبوح بسحرة وأتى رسولهُمُ إلىَّ خصيصاً
قالوا اقترِحْ شيئا نَجِدْ لك طبخَه قلتُ أطبُخوا لى جُبةً وقميصا (١)

وكقوله: من مُبلغٌ أفناءَ يَعرُبَ كلّها انى بنيت الجار قبل المنزل

وكقوله: ألاَ لا يجهلَنْ أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

(١٤) ﴿المزاوجة﴾

هى أن يُزاوج المتكلِّم بين معنيين فى الشّرط والجزاء ، بأن يُرتِّب على كلّ منهما معنى رُتِّب على الآخر ، كقوله

اذا ما نهى النّاهى فلجَّ بى الهوى أصاخت الى الواشى فلجّ بها الهجر

زواج بين النهى والإصاخة فى الشرط والجزاء بترتيب اللجاج عليهما

وكقوله —

إذا احتربتْ يوما ففاضت دماؤها تذكَّرتْ القربى ففاضت دموعها

زاوج بين الاحتراب « التّحارب » وتذكر القربى فى الشرط والجزاء بترتيب الفيض عليهما

(١٥) ﴿الطى والنشر﴾

الطىّ والنّشر — أن يُذكر متعدّد ، ثم يُذكر ما لكلّ من أفراده شائعاً من غير تعيين ، اعتماداً على تصرُّف السامع فى تمييز ما لكلّ واحد

---

(١) . أى خيطوا لى جبة وقميصاً فذكر الخياطة بلفظ الطبخ لوقوعه فى صحبة طبخ الطعام .

منها . وردّه الى ماهو له — وهو نوعان

« ا » إمّا أن يكون النّشر فيه على ترتيب الطّى ، نحو (وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) فقد جمع بين الليل والنهار ثم ذكر السكون لليل ، وابتغاء الرزق للنهار ، على التّرتيب وكقوله: عيونٌ وأصداغ وفرعٌ وقامة وخالٌ وَوَجْنَاتٌ وفرقٌ وَمَرشفُ

سيوف وريحان وليل وبانة ومسكٌ وياقوت وصُبْحٌ وقَرْقَفُ

وكقوله : فعلُ المدام ولونها ومذاقها فى مقلتيه ووجنتيه وريقه

« ب » وإمّا أن يكون على خلاف ترتيبه — نحو (فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ)

ذكر ابتغاء الفضل للثاني ، وعلم الحساب للأول على خلاف الترتيب وكقوله — ولحظُهُ ومُحياهُ وقامته بدر الدُّجا وقَضيبُ البانِ والرَّاحِ

فبدر الدجا راجع الى « المحيا » الذى هو الوجه ، و « قضيب البان » راجع الى « القامة » ، والراح راجع الى « اللّحظ » ويُسمَّى اللّفّ والنّشر أيضا

(١٦) ﴿ الجمع ﴾

هو أن يَجمع المتكلم بين متعدّد تحت حكم واحد وذلك قد يكون

« ا » فى اثنين نحو : المال والبنون زينة الحياة الدنيا

ونحو : (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ)

« ب » أو فى أكثر ، نحو (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ

رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) وكقوله

إنَّ الشبابَ والفراغَ والجِدَه ... مَفسدةٌ للمرء أيَّ مَفْسَدَه

وكقوله : آراؤه وعطاياهُ ونعمتُه ... وعفوهُ رحمةٌ للنّاس كُلِّهم

وكقوله آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم ... فى الحادثات إذا دَجَوْن نجومُ

(١٧) ﴿ التفريق ﴾

هو أن يَعمدَ المتكلّم إلى شيئين من نوع واحد فيوقع بينهما تبايناً وتفريقاً بذكر ما يفيد معنى زائداً فيما هو بصدده من مدح أو ذم أو نسيب أو غير ذلك من الأغراض ، نحو (وَمَا يَسْتَوِى البَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) — وكقول الشاعر

ما نوال الغمام وقت ربيع ... كنوال الأمير يوم سخاء

فنوالُ الأمير بَدرَةُ عين ... ونوال الغمام قطرة ماء

وكقوله — مَن قاس جَدواكَ يوماً ... بالسُّحب أخطأ مدحكْ

السُّحب تعطِي وتبكى ... وأنت تعطى وتضحكْ

وكقوله — من قاس جدواك بالغمام فما ... أنصف فى الحكم بين شكلين

أنت اذا جُدت ضاحكٌ أبدا ... وهو اذا جاد دامع العين

وكقوله — وردُ الخدود أرقّ من ... وَرد الرّياض وأنعمُ

هذاك تَنشقُهُ الأنو ... فُ وذا يُقبِّله الفمُ

(١٨) ﴿ التقسيم ﴾

هو أن يُذكر متعدّد، ثم يُضاف الى كلٍّ من أفراده ما له على جهة التّعيين

نحو) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ، فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ)

وقد يطلق التقسيم على أمرين آخرين

أوَّلُهما أن تستوفى أقسام الشئ ، نحو (لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فى الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تحْتَ الثَّرٰى)

وثانيهما أن تذكر أحوال الشئ مضافا الى كل منها ما يليق به كقوله تعالى (فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ، أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ)

وكقوله سأطلب حقّى بالقنا ومشايخ كأنهمو من طول ما التثموا مُرْدُ
ثقالٌ إذا لاقوا خفافٌ إذا دُعو كثير إذا شدُّوا قليلٌ إذا عُدُّوا

وكقوله ـ ولا يقيم على ضيم يُراد به إلاّ الأذلاّن عيرُ الحىّ والوَتِدُ
هذا على الخسف مربوط بِرُمَّتِه وذا يُشجّ فلا يَرثى له أحدُ

(١٩) ﴿ الجمع مع التفريق ﴾

هو أن يجمع المُتكلم بين شيئين فى حكم واحد ، ثم يفرّق بينهما فى ذلك الحكم ، نحو قوله تعالى (خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ . وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)

وكقوله ـ فوجهك كالنّار فى ضوئها وقلبىَ كالنّار فى حرّها

(٢٠) ﴿ الجمع مع التقسيم ﴾

هو أن يجمع المتكلّم بين شيئين أو أكثر تحت حكم واحد ، ثم يقسّم

ماجمع ـ أو يقسّم أولا ثم يجمع ، فالأول نحو : (اللهُ يَتَوفّى الأنفسَ حِينَ مَوتِها والّتى لَمْ تَمتْ فى مَنَامِها فَيُمْسِكُ الّتى قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْت وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) وكقول المتنبى

حتى أقام على أرباض خرشنة (١) تشقى به الرُّوم والصّلبان والبِيَعُ
للّرقّ ما نسلوا والقتل ما ولدوا والنّهب ما جمعوا والنّار ما زرعوا

والثانى كقول سيدنا حسان

قومٌ إذا حاربوا ضرُّوا عدوَّهُمُ أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعُوا
سجيّة تلك فيهم غير مُحْدَثة إنّ الخلائق فاعلم شرها البِدَعُ

(٢١) ﴿ المبالغة ﴾

أن يدّعى المتكلم لوصف بلوغَه فى الشّدّة أو الضّعف حدًّا مُسْتبعداً أو مستحيلا ـ وتنحصر فى ثلاثة أنواع

١ تبليغ — إن كان ذلك الادعاء ممكناً عقلا وعادة ، نحو « ظُلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها » وكقوله فى وصف فرس

إذا ما سابقتها الرّيح فرّت وألقتْ فى يد الرّيح التّرابا

٢ وإغراق — ان كان الادعاء ممكنا عقلا لا عادة — كقوله

ونكرم جارنا ما دام فينا ونُتبعُه الكرامةَ حيثُ مالا

٣ وغلوّ (٢) — ان كان الادعاء مستحيلا عقلا وعادة — كقوله

---

(١) الأرباض جمع رَبَضَ وهو ما حول المدينة . وخرشنة بلد بالروم

(٢) أما الغلو . فمنه مقبول ومنه مردود . فالمقبول ثلاثة أنواع أحدها ما اقترن به ما يقرب به للصحة « كـكاد » نحو قوله تعالى (يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار)

تكادُ قِسيُّه من غير رامٍ تُمكِّن فى قلوبهم النِّبالا

(٢٢) ﴿المغايرة﴾

هى مدح الشّىء بعد ذمه أو عكسه ـ كقول الحريرى فى مدح الدِّينار

« أكرمْ به أصفرَ راقت صفرته »

بعد ذمه فى قوله ـ « تبًّا له من خادع مُمارق »

(٢٣) ﴿تأكيد المدح بما يشبه الذم﴾

هو ضربان

(١) أن يُستثنى من صفة ذم منفية، صفة مدح على تقدير دخولها فيها ـ كقوله

«ولو» نحو قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) ثانيها ـ ما تضمن حسن تخييل كقول المتنبى

عقدت سنابكها عليها عِثيَرًا لو تبتغى عَنَقًا عليه لأمكنا (١)

وقول المعرى :

يذيب الرعب منه كل عضب فلولا الغمد يمسكه لسالا

ثالثها ـ ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة ـ كقول النظام

توهمه طرفى فأَلم طرفه فصار مكان الوهم فى خده أثرْ

ومرّ بفكرى خاطراً فجرحته ولم أر خلقا قط يجرحه الفِكرْ

وقول الآخر لك أنف يا ابن حرب أنفت منه الأنوفْ

أنت فى القدس تصلّى وهو فى البيت يطوف

---

(١) السنابك جمع سنبك وهو طرف مقدم الحافر . والعثير الغبار . والعنق ضرب من السير سريع فسيح الخطو ـ يقول ان حوافر هذه الخيل عقدت فوقها غبارا

ولا عيبَ فيهم غيرَ انّ سيوفهم بهنّ فُلول من قِراع الكتائبِ (١)

(ب) أن يثبت لشيء صفة مدح ، ويُؤْتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أُخرى مستثناة من مثلها — كقوله

ولا عيبَ فيه غير أنى قصدته فأنستنِىَ الأيام أهلا وموطناً

وكقوله ـ فتًى كملت أوصافه غيرَ أنه جَواد فما يُبقى من المال باقيا

(٢٤) ﴿ تأكيد الذم بما يشبه المدح ﴾ (٢)

هو ضربان أيضاً

(ا) أن يستثنى من صفة مدح منفية ، صفة ذم على تقدير دخولها فيها نحو ـ فلان لا خيرفيه الاّ أنه يتصدق بما يسرق ـ ونحو ـ لا فضل للقوم الا

كثيفا حتى لو أرادت السير عليه لكان يحملها كالأرض لشدة كثافته

(١) أى ان كان تكسُّر حد سيوفهم من مقارعة الجيوش عيباً فلا عيب فيهم غيره . ومن المعلوم أنه ليس بعيب ـ وكقول الآخر

ولا عيب فيهم سوى أنّ النزيل بهم يسلو عن الاهل والاوطان والحشم

وقوله . ولا عيب فيه غير أنّ خدوده بهنّ احمرار من عيون المتيَّم

وقوله . ليس به عيب سوى أنه لا تقع العين على شبهه

وقوله . ولا عيب فى معروفهم غير أنه يُبيِّن عجز الشاكرين عن الشُّكر

وقوله . ولا عيب فيكم غير أن ضيوفكم تُعابُ بنسيان الأحبّة والوطن

(٢) وهناك نوع آخر يسمىّ « الهجاء فى معرض المدح » وهو أن يؤتى بكلام ظاهره مدح ، وباطنه ذم كقوله

أبو جعفر رجل عالم بما يُصلح المِعْدة الفاسده

تخوّف تُخمة أضيافه فعوّدهم أكلة واحده

انهم لا يعرفون للجار حقه ـ ونحو : الجاهل عدوّ نفسه الا أنه صديق السفهاء ونحو : فلان ليس أهلا للمعروف إلاّ أنه يُسيء الى من يحسن اليه

(ب) أن يُثبتَ لشيء صفةَ ذم . ثم يُؤتى بعدها بأداة استثناء[1] تليها صفة ذم أُخرى نحو : فلان حسود إلاّ أنه نمّام ، وكقوله

هو الكلب إلا أنّ فيه ملالةً وسُوءَ مُراعاة وماذاك فى الكلب

(٢٥) ﴿الايهام او التوجيه﴾

هو أن يُؤتى بكلام يحتمل معنيين مُتضادين على السّواء كهجاء ومديح ليبلغ القائل غرضه بما لا يُمسَك عليه ، كقول بشار فى خياط أعور اسمه عمرو

خاط لى عمرو قباء ليت عينيه سواء

ويحكى أن محمداً بن حزم هنأ الحسن بن سهل باتصال بنته (بوران التى تُنسب اليها الأطبخة البُورانية) بالخليفة المأمون العباسى مع من هنّأه فأثابهم ، وحرَمه : فكتب اليه إن أنت تماديت على حرمانى ، قلتُ فيك « بيتاً لايُعرف » أهو مدح أم ذم ، فاستحضره وسأله فأقرّ ، فقال الحسَن لا أعطيك أو تفعل . فقال

بارك الله للحسَن وليُوران فى الخَتن

---

(١) ومثل أداة الاستثناء فى ذلك اداة الاستدراك فى قول الشاعر

وجوه كأظهار الرياض نَضارةً ولكنها يوم الهياج صُخور

وكقوله . هو البدر الا أنه البحر زاخراً سوى أنه الضرغام لكنه الوبل

ادرج أهل البيان التدبيج فى الطباق . وأفرده أهل البديع وهو الأولى لجواز

يا امام الهدى ظفر تَ ولـكنْ بنتَ منْ

فلم يدر بنت مَنْ ؟ ؟ أفى العظمة وعلوّ الشأن ورفعة المنزلة أم فى الدناءة والخسّة ؟ ؟ فاستحسَنَ الحسَن منه ذلك

(٢٦) ﴿نفى الشئ بايجابه﴾

هو أن يُنفى متعلّق أمر عَنْ أمرٍ فيُوهم اثباته له . والمراد نفيه عنه أيضاً نحو — (لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ) [1] فانّ نفى إلهاءَ التجارة عنهم يُوهم اثباتها لهم — والمراد نفيها أيضاً .

(٢٧) ﴿القول بالموجب﴾

القول بالموجب نوعان

الاول :أن يقع فى كلام الغير اثبات صفة لشئ وترتيب حكم عليها فينقل السامع تلك الصفة الى غير ذلك الشىء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه كقوله تعالى (يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) [2] فالمنافقون أرادوا

أن لا يقع التقابل بين الألوان فيفوت الطباق

(١) مقتطع من الآية التى مرت فى مبحث ترك المسند حيث يقول (يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله (فان قوله لا تلهيهم تجارة) يوهم ان لهم تجارة غير انهم لا يلتهون بها . ولكن المراد انهم ليس لهم تجارة حتى يلتهوا بها لان رجال الجنة لا يتعاطون التجارة

(٢) تلخيص العبارة ان الكافرين حكموا لأنفسهم بالعزة . والمؤمنين بالذلة

بالأعزّ أنفسَهم، وبالأذل المؤمنين. ورتّبوا على ذلك الاخراج من المدينة. فنُقلت صفة العزة للمؤمنين، وأبقيت صفة الاذلية للمنافقين، من غير تعرّض لثبوت حكم الاخراج للمتصفين بصفة العزة، ولا لنفيه عنهم

والثانى: حمل لفظ وقع فى كلام الغير على خلاف مراده بذكر متعلّق له كقوله

وقالوا قد صفت منّا قلوب لقد صدقوا ولكن عن ودادى

ارادوا بصفو قلوبهم الخلوص، فحمله على الخلوّ بذكر متعلقه وهو قوله « عن ودادى »

(٢٨) ﴿ائتلاف اللفظ مع المعنى﴾

هو أن تكون الألفاظ مُوافقة للمعانى، فتُختار الألفاظ الجزلة والعبارات الشديدة للفخر والحماسة، وتُختار الكلمات الرقيقة، والعبارات اللّينة للغزل والمدح — كقوله

اذا ما غضبنا غضبة مُضريّة هتكنا حجاب الشمس أو قَطَرت دما

اذا ما أعرنَا سيداً من قبيلة ذُرا منبرٍ صلّى علينا وسلّما

وكقوله — ولَستُ بنظّار الى جانب الغِنى إذا كانت العلياء في جانب الفقر

وكقوله — لم يطل ليلى ولكن لم أنم ونفى عنّى الكَرى طيفٌ ألمّ

(٢٩) ﴿التفريع﴾

هو أن يُثبت حكمٌ لمتعلّق أمر بعد إثباته لمتعلّق له آخر — كقول الشاعر

وقالوا ان رجعنا الى المدينة نخرجهم منها. فحكم بالعزة لله ولرسوله والمؤمنين — ولم يقل انهم يخرجون أولئك منها، ولا أنهم لايخرجونهم

فاضت يداه بالنضار كما فاضت ظباه فى الوغى بدمى

وكقوله أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكمُ تشفى من الكلَبِ

(٣٠) ﴿الاستتباع﴾

هو الوصف بشىء على وجه يستتبع الوصف بشىء آخر مدحا أو ذما

يعنى أن الاستتباع هو المدح على وجه يستتبع المدح بأمر آخر كقوله

ألا أيها المال الذى قد أباده تسلَّ فهذا فعله بالكتائب

وكقوله سَمحُ البديهة ليس يمسك لفظه فكأنّ ألفاظه من ماله

وكقوله ـ الحرب نزهته والبأس همّته والسّيف عزمته والله ناصره

وقيل : إنه يكون أيضاً فى الذم كقول بعضهم فى قاض لم يقبل شهادته برؤية هلال الفطر

أترى القاضىَ أعمى أم تراه يتعامَى

سَرق العيدَ كأنّ ال عيدَ أموالُ اليتامَى

(٣١) ﴿السلب والايجاب (١)﴾

هو أن يقصد المتكلم اختصاص شىء بصفة ، فينفيها عن جميع الناس ثم يثبتها له مدحا أو ذما ، فالمدح كقول الخنساء

وما بلغت كفّ امرىء متناولا من المجد إلاّ والّذى نلتَ أطولُ

---

(١) ويسمّى الرجوع وهو العود على الكلام السّابق بالنقض لنكتة كقول زهير

قف بالديار التى لم يعفها القِدمُ بَلَى وغيّرها الأرواح والدِّيَمُ

وكقوله ـ وماضاع شعرى عندكم حين قُلته بلى وأبيكم ضاع فهو يضوع

ولا بلغ المهدون للناس مِدحةً وان أطنبوا الاَّ الذى فيك أفضلُ

والذّم — كقول بعضهم

خلقوا وما خُلقوا لمكرُمة فكأنّهم خلقوا وما خلقوا

رُزقوا ومَا رُزقوا سماح يَدٍ فكأنّهم رُزقو ومَا رُزقوا

(٣٢) ﴿الابداع﴾

هو أن يكون الكلام مُشتملا على عدّة أنواع من البديع نحو قول الشاعر

فضحتَ الحياوالبحرَ جُودافقدبكى الـ حيامن حياءِ منك والتطَم البحر (١)

---

(١) فان فيه حسن التعليل فى قوله بكى من حيائك . وفيه التقسيم فى قوله فضحت الحياوالبحر ـ حيث ارجع ما لكل اليه على التعيين بقوله بكى الحيا ، والتطم البحر . وفيه المبالغة فى جعله بكاء الحيا والتطام البحر حياء من الممدوح . وفيه الجمع فى قوله فضحت الحيا والبحر . وفيه رد العجز على الصدر فى ذكر البحر والبحر . وفيه الجناس التام بين الحيا والحياء ـ وللقرآن الكريم اليد البيضاء فى هذا النوع فقد وجد اثنان وعشرون نوعا فى قوله تعالى (وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بُعداً للقوم الظالمين) مع كون الآية سبع عشرة لفظة ـ ولا بد لى من ذكرها تبركا بها وإلجاما لبعض المعاصرين الذين يتفوهون بما لا يليق ذكره بالنسبة لكلام رب العالمين (١) ففيها المناسبة التامة بين ابلعى وأقلعى (٢) الاستعارة فيهما (٣) الطباق بين الارض والسماء (٤) المجاز فى قوله يا سماء فان الحقيقة يا مطر (٥) الاشارة فى « وغيض الماء » فانه عبر به عن معان كثيرة فان الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلع الارض ما يخرج منها من عيون الماء (٦) الارداف فى قوله « واستوت على الجودى » فإنه عبر عن استقرارها فى المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى (٧) التمثيل فى قوله « وقضى

(٣٣) ﴿ الاسلوب الحكيم ﴾

هو تلقّي المُخاطَب بغير ما يترقّبه ـ إمّا بترك سؤاله والاجابة عن سؤال لم يسأله ـ وإمّا بحمل كلامه على غير ما كان يَقصِدُ، إشارة الى أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال ، أو يقصد هذا المعنى. فمثال الاول ما فعله القَعقاعُ بن شَوْرى بالحجّاج ، إذ قال له الحجّاج متوعّداً (لأحملنّكَ على الأدهَمِ)

الامر » فانه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظ بعيد عن الموضوع (٨) التعليل ـ فان غيض الماء علة الاستواء (٩) التقسيم فانه استوفى أقسام الماء حال نقصه (١٠) الاحتراس فى قوله « وقيل بعداً للقوم الظالمين » اذ الدعاء يشعر بأنهم مستحقوا الهلاك احتراساً من ضعيف يتوهم أن الفرق لعمومه ربما يشمل غير المستحق (١١) الانسجام فان الآية منسجمة كالماء الجارى فى سلاسته (١٢) حسن التنسيق فانه تعالى قص القصة وعطف بعضها على بعض بحسن الترتيب (١٣) ائتلاف اللفظ مع المعنى لان كل لفظة لا يصلح لمعناها غيرها (١٤) الايجاز فانه سبحانه وتعالى ـ أمر فيها ونهى . وأخبر ونادى . ونعت وعمّى . وأهلك وأبقى وأسعد وأشقى ـ وقص من الانباء ما لو شرح لجفت الاقلام (١٥) التسهيم إذ أول الآية يدل على آخرها (١٦) التهذيب لان مفرداتها موصوفة بصفات الحسن لأن كل لفظة سهلة مخارج الحروف . عليها رونق الفصاحة ، سليمة من التنافر بعيدة عن عقادة التراكيب (١٧) حسن البيان لان السامع لا يشكل عليه فى فهم معانيها شئ (١٨) الاعتراض وهو قوله وغيض الماء واستوت على الجودى (١٩) الكناية فانه لم يصرح بمن أغاض الماء . ولا بمن قضى الأمر ـ وسوى السفينة ـ ولا بمن قال وقيل بعداً . كما لم يصرح بقائل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى فى صدر الآية سلوكا فى كل واحد من ذلك سبيل الكناية (٢٠) التعريض فانه تعالى عرض

يُريد القيد الحديد الاسود : فقال القَبعثَرِى « مثل الامير يحمل على الأدهم والاشهب » يعنى الفرس الاسود ، والفرس الابيض ، فقال له الحجّاج أردت الحديد ، فقال القَبعثَرى : لأن يكون حديدا خير من أن يكون بليداً ، ومراده تخطئة الحجاج بأنّ الأليق به الوعد لا الوعيد[1] ومثال الثانى قوله تعالى (ويَسْأَلونَكَ ماذَا يُنفِقونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُم مِنْ خَيْرٍ فللْوَالِدَين والأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى والْمَسَاكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ) سألوا عن حقيقة ما ينفقون فأجيبوا ببيان طرق الانفاق : تنبيهاً على أنّ هذا هو الأجدر بالسؤال عنه — وقال تعالى (يَسْأَلونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاس

بسالكى مسالكهم فى تكذيب الرسل ظلما — وان الطوفان وتلك الصورة الهائلة ما كانت إلا بظلمهم (٢١) التمكين لان الفاصلة قارة متمكنة فى موضعها

(٢٢) الابداع الذى نحن بصدد الاستشهاد له ، وفيها غيرذلك — وقد أفردت هذه الآية الشريفة بتآليف لما اشتملت عليه من البلاغة حتى عدّ بعضهم فيها مائة وخمسين نوعا ، وقد أجمع المعاندون على أن طوق البشر عاجز عن الاتيان بمثلها

(١) سبب ذلك أن الحجاج بلغه أن القبعثرى لما ذكر الحجاج بينه و بين أصحابه فى بستان قال : اللهم سود وجهه واقطع عنقه واسقنى من دمه . فوشى به الى الحجاج فلما مثل بين يديه وسأله عن ذلك قال : انما أردت العنب . فقال له الحجاج ما ذكر — ومثل ذلك قول الشاعر

ولقد أتيت لصاحبى وسألته فى قرض دينار لأمرٍ كانا
فأجابنى والله دارى ماحوت عيناً فقلت له ولا انسانا

وسئل تاجر ؟ ؟ كم رأس مالك . فقال : إنى أمين وثقة الناس بى عظيمة وقال الشاعر :

طلبت منه درهماً يوماً فأظهر العجبْ

وَالحَجِّ)[1] وقال ابن حجّاج

قال ثَقَّلتُ إذْ أَتيتُ مِراراً قُلْتُ ثَقَّلتَ كاهلي بالأيادِي
قال طَوَّلْتُ قُلتُ أُوليتَ طَوْلاً قال أبرمتُ قلتُ حبل وِدادِي

فصاحب ابن حجّاج يقول له قد ثقلت عليك بكثرة زياراتي ، فيصرفه عن رأيه في أدب وظَرف ، وينقل كلامه من معنى الى معنى آخر ـ وكقول الشاعر

ولمَّا نعى النّاعي سألناه خَشْيَةً وللعين خوف البين تَسْكابُ أمطارِ
أجابَ قَضَى : قُلنا قضى حاجة العُلا فقال مَضى : قلنا بكلٍّ نخارِ

ويحكى أنه لما توجَّه خالد بن الوليد لفتح الحيرة أتى اليه مِنْ قِبَل أهلها رجل ذو تجربة : فقال له خالد فيم أنتَ ؟ ؟ قال في ثيابي : فقال علام أنت ؟ ؟ فأجاب على الارض ـ فقال كم سنك ؟ ؟ قال اثنتان وثلاثون ـ فقال أسألك عَنْ شيء وتجيبني بغيره : فقال انما أجبتك عمَّا سألت

تشابه الاطراف

تشابه الاطراف قسمان ـ معنوى ولفظى .

فالمعنوى هو أن يختم المتكلم كلامه بما يناسب ابتداءه في المعنى . كقول الشاعر :

ألَذُّ من السِّحر الحلال حديثُهُ وأعذَبُ من ماء الغَمامَة ريقُهُ

وقال ذا من فضة يُصنع لا من الذهب

وسئل أحد العمال ؟ ؟ ماذا أدخرت من المال . فقال : لا شيءٌ يُعادل الصحة

(١) بيان ذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ سألوه عن الأهلة ؟ ؟ لِمَ تبدو صغيرة ، ثم تزداد حتى يتكامل نورها . ثم تتضاءل حتى لا ترى (وهذه مسألة دقيقة من علم الفلك) تحتاج الى فلسفة عالية وثقافة عامة فصرفهم عنها ببيان أن الأهلة وسائل للتوقيت في المعاملات والعبادات إشارة الى أن الأولى بهم أن يسألوا عن هذا

فالريق يناسب اللذة فى أول البيت

واللفظى نوعان ـ ا ـ أن ينظر الناظم أو الناثر الى لفظة وقعت فى آخر المصراع الاول أو الجملة فيبدأ بها المصراع الثانى أو الجملة التالية كقوله تعالى : « مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِى زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ » وكقول أبى تمام :

هَوَىً كان خِلْساً انّ من أبرَدِ الهوى هوًى جُلْتُ فى أفيائه وهو خامِلُ

ب أن يعيد الناظم لفظة القافية من كل بيت فى أول البيت الذى يليه .

كقوله رمَتْنى وسِترُ الله بينى و بينها عَشِيَّةَ آرام الكناس رَمِيمُ

رميمُ التى قالتْ لجيرانِ بيتها ضَمَنتُ لكم ألاّ يزال يهيمُ

وكقوله اذا نزل الحجاج أرضاً مريضة تتبّع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العضال الذى بها غلام اذا هزّ القناة سقاها

سقاها فرَوَّاها بشرْب سجالها دماءَ رجالٍ حيث مال حِشاها

٣٥ العكس

هو أن تقدِّم فى الكلام جزءا ثم تعكس بأن تقدِّم ما أخرْت وتؤخِّر ما قدمت ويأتى على أنواع — ا — أن يقع بين أحد طرفى جملة وما أضيف اليه ذلك الطرف نحو كلام الملوك ملوك الكلام ـ وكقول المتنبى

إذا أمطرَتْ منهم ومنك سحابةٌ فوابلُهم طَلٌّ وطَلُّكَ وابلُ

— ب — أن يقع بين متعلق فعلين فى جملتين . كقوله تعالى : « يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى

ج — أن يقع بين لفظين فى طرفى الجملتين . كقوله تعالى : « لاَ هُن حِلٌّ لهمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لهنَّ

د — أن يقع بين طرفى الجملتين . كقول الشاعر .

طوَيتُ بإحراز الفنون ونَيْلها رداء شباب والجنون فنُونُ

فحين تَماطيت الفنون وحظها تبيَّنَ لى أن الفنون جنونُ

ـ ٥ ـ أن يكون بترديد مصراع البيت معكوساً . كقول الشاعر :

ان الوَجد فى فؤادى تراكمُ ليت عينى قبل الممات تراكمْ
فى هواكمْ ياسادتى متّ وَجْداً مت وجداً ياسادتى فى هواكمْ

٣٦ تجاهل العارف

هو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلا منه لنكتة كالتوبيخ فى قوله

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طَريف

أو المبالغة فى المدح كقوله

ألمعُ برقٍ سرى أم ضوء مصباح أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى

أو المبالغة فى الذم كقوله

وما أدرى وسوف إخال أدرى أقومٌ آل حصن أم نساء

أو التعجب نحو : (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون) وغير ذلك من الأغراض

تمرين (١)

بيّن الأنواع البديعية فيما يلى

١ قال بعضهم فى وصف إبل

صلبُ العَصا بالضّرْب قد أدماها تودُّ أنَّ الله قدْ أفْنَاها

٢ فى وصف إبل هزيلة

كالقِسىِّ المعطفاتِ بل الأسـ ـهُم مَبرِيّةً بَل الأوتار

---

(١) الضرب لفظ مشترك بين الضرب بالعصا وهو المعنى القريب ـ والسير فى الارض وهو المعنى البعيد المراد بالتورية

(٢) فيه مراعاة النظير إذ وصف البحترى الابل بالنحول فشبهها بأشياء متناسبة وهى القسى والأسهم المبرية والاوتار

٣ وللغزالة شيء من تلفتها ونورها من ضيا خديه مكتسب
٤ أفنى جيوش العدا غزوا فلست ترى سوى قتيل ومأسور ومنهزم
٥ ولا عيب فيهم غير أن ذوى الندى خساس إذا قيسوا بهم ولئام
٦ على رأس عبد تاج عز يزينه وفى رجل حر قيد ذل يشينه
٧ إذا لم تفض عينى العقيق فلا رأت منازله بالقرب تبهى وتبهر

تمرين (٢)

١ فلا الجود يفنى المال والجد مقبل ولا البخل يبقى المال والجد مدبر
٢ رحم الله من تصدق من فضل ، أو آسى من كفاف ، أو آثر من قوت
٣ رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره متيم لج فى الأشواق خاطره

---

(٣) فيه استخدام إذ أراد بالغزالة الحيوان المعروف — و بضمير نورها الغزالة بمعنى الشمس .

(٤) فيه تقسيم إذ هو قد استوفى جميع أقسام جيش العدو بحصرها فى الاقسام الثلاثة

(٥) فيه تأكيد المدح بما يشبه الذم فانه استثنى من صفة ذم منفية صفة مدح

(٦) فيه مقابلة بين ستة وستة فقد قابل بين على وفى . رأس ورجل . حر وعبد تاج وقيد . عز وذل . يزين ويشين

(٧) فيه استخدام اذ العقيق هنا الدم الشبيه بالعقيق فى الحمرة ـ والضمير يعود اليه باعتباره الوادى المعروف بظاهر المدينة ببلاد الحجاز

(١) فيه مقابلة بين الجود والبخل . يفنى و يبقى . مقبل ومدبر

(٢) فيه تقسيم باستيفاء أقسام الشئ لان طبقات الناس هذه الثلاثة ليس غير

(٣) فيه استخدام فالعقيق أولا المكان المعلوم فى بلاد الحجاز — والضمير يعود اليه بمعنى الحجر المعروف ، وقد شبه دموعه به

٤ آراؤكم ووُجوهُكم وسيُوفَكم في الحادثاتِ اذا دَجَوْنَ نجومُ

٥ ما زُلزلتْ مصر مِنْ كيدٍ ألمّ بها لكنها رَقصتْ مِنْ عدلكم طرَبا

٦ أُراعي النجم في سيرى اليكم ويرعاهُ منَ البيدا جوادى

جاءني ابنيَ يوماً وكنت أراه لىَ رَيْحَانَةً وَمصْدَرَ أُنس

قال ما الروح ؟ قلت إنك روحى قال ما النفس ؟ قلتُ إنك نفسى

تطبيق عام على البديع المعنوى

يا سيدا حاز لطفا له البرايا عبيدُ

أنت الحسين ولكن جفاك فينا يزيدُ

فى هذا الكلام تورية مهيأة بلفظ قبلها . فان ذكر « الحسين » لازم لكون « يزيد » اسما بعد احتمال الفعل المضارع المورّى عنه

حُماة فى بهجتها جَنة وهى من الغمّ لنا جُنّة

لاتيأسوامن رحمة الله فقد رأيتم العاصىَ فى الجنة

فى هذا الكلام تورية مرشحة . فان ذكر الرحمة ترشيح للفظ العاصى المورى به الذى هو من العصيان . والمورى عنه النهر المعروف الذى عبر حماه

فان ضيّعتُ فيه جميع مالى فكم من لحية حلقت بموسى

فيه التورية المرشحة بذكر اللحية والحلق وهما يناسبان المورى به وهو «موسى»

---

(٤) فيه الجمع فقد جمع بين ثلاثة أشياء فى حكم واحد

(٥) فيه حسن التعليل فقد جعل علة زلزال مصر طربا من عدل الممدوح لا لمكروه نزل بها

(٦) فيه استخدام اذ النجم الاول الكوكب . وأعاد عليه الضمير بمعنى النبات الذى لا ساق له

الحديد ، والمورى عنه الاسم المذكور

يا عذولى فى مغنٍّ مطرب حرك الأوتار لما سفرا
لم تهز العطف منه طربا عندما تسمع منه وترا

فيه تورية فى لفظ « وترا » معناه البعيد المراد هو الرؤية . والقريب أحد الأوتار ـ ولفظ « تسمع » هيأ قوله « وتراً » للتورية بالرؤية

سألته عن قومه فانثنى يعجب من افراط دمعى السخّى
وأبصر المسك وبدر الدُّجى فقال ذا خالى وهذا أخى

فيه تورية فى لفظ « خالى » معناه البعيد المراد النقطة السوداء فى الخد . والقريب أخ الأم . ولفظة « أخى » هى التى هيأت خالى للتورية ـ وهى بعيده

وساقية تدور على الندامى وتنهرهم لسرعة شرب خمر
سنشكر يوم لهو قد تقضّى بساقية تقابلنا بنهر

« الساقية » امرأة تسقى الراح وهذا هو المعنى القريب — أو ساقية الماء وهو المعنى البعيد . وكل منهما مذكور للتورية فى صاحبه ، ومهيئ لها فيه .

الباب الثانى — ﴿ فى المحسنات اللفظية ﴾

(١) ﴿ الجناس [١] ﴾

ويقال له التجنيس ، والتجانس ، والمجانسة ؛ ولا يستحسن الا اذا ساعد اللفظ المعنى ووازى مصنوعه مطبوعه مع مُراعاة النَّظير ، وتمكّن القرائن

---

(١) تلخيص القول فى الجناس أنه نوعان . تام . وغير تام — فالتام هو ما اتفق فيه اللفظان فى أمور أربعة ، هى نوع الحروف . وشكلها . وعددها . وترتيبها وغير التام . هو ما اختلف فيه اللفظان فى واحد من الامور الاربعة المتقدمة كقول الشاعر

وميتته يحيى ليحيا فلم يكن إلى ردّ أمر الله فيه سبيل

فينبغى أن ترسل المعانى على سجيتها لتكتسى من الألفاظ مايزينها حتى لا يكون التكلف فى الجناس مع مراعاة الالتئام ؛ موقعاً صاحبه فى قول من قال

طبع المُجنّس فيه نوع قيادة أو ما ترى تأليفه للأحرف

وبملاحظة ما قدّمنا يكون فيه استدعاء لميل السامع والاصغاء اليه لأن النفس تستحسن المكرر مع اختلاف معناه ويأخذها نوع من الاستغراب

والجناس أن يتفق اللّفظان فى النّطق ويختلفا فى المعنى

وهو ينقسم الى نوعين لفظى — ومعنوى

﴿ أنواع الجناس اللفظى ﴾

١ منها الجناس التام وهو ما اتفق فيه اللّفظان فى أربعة أشياء ، نوع الحروف ، وعددها ، وهيئاتها ، وترتيبها مع اختلاف المعنى

فان كانا من نوع واحد كاسمين أو فعلين أو حرفين سُمِّى مماثلا ومستوفيا — نحو : (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ) فالمراد بالساعة الأولى يوم القيامة ، وبالثانية واحدة الساعات الزمانية ونحو : رَحَبَةَ رَحْبَةَ — الأولى فناء الدار ، والثانية بمعنى واسعة

وكقول ابن الفارض : هلاّ نهاك نُهاك عن لوم امرئ لم يُلْفَ غير مُنعّم بشقاء

وكقوله : لو زارنا طيف ذات الخال أحيانا ونحْنُ فى حفَر الأجداث أحيانا

وقول الخنساء : — ان البكاء هو الشفا من الجوى بين الجوانح

وقول المعرى : — لم تلق غيرك انسانا يُلاذ به فلا برحت لعين الدهر إنسانا

وقول الحريرى :

لا أعطى زمانى مَنْ يخفِر ذمامى ولا أغرس الأيادى فى أرض الأعادى

وان كانا من نوعين كفعل واسم ، سُمِّى مستوفيا

نحو ارع الجار ولو جار — وكقول الشاعر

ما مات من كرم الزمان فانه يحيا لدى يحيى بن عبد الله

فيحيا الأول فعل مضارع ، ويحيى الثانى عَلم الكريم الممدوح . ونحو :

اذا رماك الدّهر فى معشر قد أجمع الناسُ على بُغْضهم

فدارهم ما دُمت فى دارهم وأرضهم ما دُمتَ فى أرضهم

وأما الجناس الناقص فهو ما اختلف فيه اللفظان فى عدد الحروف واختلافهما يكون إمّا بزيادة حرف فى الاول نحو دوام الحال من المحال أو فى الوسط نحو : جَدِّى جَهْدى ، أو فى الآخر نحو : الهوى مطية الهوان ، والأول يسمى « مردوفا » والثانى يسمى « مكتنفا » والثالث يسمى « مطرّفا »

٢ ومنها الجناس المطلق — وهو توافق ركنيه فى الحروف وترتيبها بدون أن يجمعهما اشتقاق ، كقوله صلى الله عليه وسلم ـ أسْلم سَالمها الله وغِفارٌ غفر الله لها ؛ وعُصيةٍ عصت الله ورسوله

فان جمعهما اشتقاق ـ نحو (لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ) فقيل يُسمَّى جناس الاشتقاق[1]

---

(١) كقوله ـ فيا دمع انجدنى على ساكنى نجد

وكقوله ـ واذا ما رياح جودك هبّت صار قرّ الشتاء فيه هباء

وقول النابغة : فيالك من حزم وعزمٍ طواهما جديد الردى بين الصفا والصفائح

وقول البحترى : نسيم الروض فى ريح شمال وصوب المزن فى راحٍ شمول

٣ ومنها الجناس المُذيّل — « والجناس المُطرّف »

فالأول يكون الاختلاف بأكثر من حرفين فى آخره

والثانى يكون بزيادة من حرفين فى أوله .

فالمذيل — كقول أبى تمّام

يمدُّون من أيدٍ عواصٍ عواصمٍ تصول بأسياف قواضٍ قواضبِ

والمطرف — كقول الشيخ عبد القاهر

وكم سبقت منه إلىّ عوارف تنائى على تلك العوارف وارف

وكم غُرَر من برّه ولطائف لشكرى على تلك اللّطائف طائف

٤ ومنها الجناس المضارع — « والجناس اللاحق »

فالأول يكون باختلاف ركنيه فى حرفين لم يتباعدا مخرجاً

إمّا فى الأول، نحو ليل دامس وطريق طامس

وإما فى الوسط — نحو (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنأَوْنَ عَنْهُ)

وإمّا فى الآخر نحو — الخيل معقود فى نواصيها الخير

والثانى يكون فى متباعدين ، إمّا فى الأول ، نحو (هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ)

وإمّا فى الوسط ، نحو (إنهُ عَلى ذلكَ لَشَهِيدٌ ؛ وإنهُ لِحُبِّ الخيرِ لَشَدِيدٌ)

وإمّا فى الآخر نحو (وإذَا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ)

٥ ومنها « الجناس اللفظى » — وهو ما تماثل ركناه لفظا ، واختلف

وكقول الحريرى : لهم فى السير جرى السيل وإلى الخير جرى الخيل

وكقول البستى : بسيف الدولة اتسقت أمور رأيناها مُبدَّدة النظام

وكقول السبكى : كن كيف شئت عن الهوى لا أنتهى حتى تعود لى الحياة وأنت هى

أحد ركنيه عن الآخر خطاً ـ إمّا بالكتابة (بالنون والتنوين)
وإما بالاختلاف (فى الضاد والظاء ـ أو الهاء والتاء)
فالأول — نحو

أعذبُ خلق الله نطقاً وفا ان لم يكن أحقّ بالحُسنْ فَمَنْ
مثل الغزال نظرة ولفتة من ذا رآه مقبلا ولا افتتنْ

والثانى — نحو (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) وكقول أبى فِراس

ما كنتَ تصبر فى القديـ م فلمْ صبرتَ الآنَ عنّا
ولقد ظننتُ بك الظنو ن لأنه من ضنَّ ظنّا

والثالث ـ كقوله

اذا جلستَ الى قوم لتُؤنسهم بما تحدّث من ماض ومن آت
فلا تعيدنْ حديثاً إنْ طبعتهموا مُوكَّل بُمعاداة المعادات

٦ ومنها ـ الجناس المُحرَّف ـ وهو الجناس المُصحّف»
فالأوّل ـ ما اختلف ركناه فى هيآت الحروف أى حركاتها وسكناتها
نحو جُبَّة البُرْدِ جُنَّة البَرْدِ
والثانى ما تماثل رُكناه وضعاً واختلفا نقطاً، بحيث لو زال إعجام أحدهما
لم يتميّز عن الآخر ـ كقول بعضهم : غرّك عزّك ، فصار قصارَى ذلك
ذُلّك . فاخشَ فاحِش فعلك ـ فعلك بهذا تهتدى . ونحو إذا زلّ العالِم زلّ
بزلّته العالَم ـ وكقول أبى فِراس

وكقوله سَمَا وحَمى بَنى سامٍ وحامٍ فليس كمثله سامٌ وحام
وقول أبى نواس : عباسَ عباسٌ إذا احتدم الوغى والفضل فضلٌ والربيعُ ربيع

من بحر شعرك أغترفْ وبفضل علمك أعترف

٧ ومنها الجناس المركّب ـ « والجناس المُلفّق »

فالأول ـ ما اختلف رُكناه إفراداً وتركيبا

فان كان من كلمة وبعض أخرى سمّى مرفُوًّا — كقول الحريرى

ولا تَلْه عن تذكار ذنبك وابكه بدمع يضاهى المُزْن حال مصابه

ومثّل لعينيك الحِمام ووقعَه وروعةَ مُلقاه ومطعمَ صابه

وان كان من كلمتين — فان اتفق الركنان خطا سمّى مقرونا ـ كقوله

اذا ملك لم يكن ذاهبَه فدعهُ فدولته ذاهبه

والاّ سمّى مفروقا ـ كقوله

لا تعرضنّ على الرُّواة قصيدة ما لم تكن بالغتَ فى تهذيبها

فاذا عرضت الشعر غير مهذّب عدّوه منك وساوسا تهذى بها

والثانى ـ وهو الملفق يكون بتركيب الركنين جميعاً ـ كقوله

وَليتُ الحكم خمساً وهى خَمْس لعمرى والصّبا فى العنفوان

فلم تضع الأعادى قدر شانى ولا قالوا فلان قد رشاني

٨ ومنها جناس القلب » وهو ما اختلف فيه اللفظان فى ترتيب الحروف نحو حسامه فتحٌ لأوليائه، وحتف لأعدائه « ويسمّى قلب كلّ » لانعكاس الترتيب

ونحو ـ اللهمّ استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، ويسمى قلب بعض

ونحو : رحم الله امرأ أمسك ما بين فكّيه وأطلق ما بين كفّيه

واذا وقع أحد المتجانسين فى أول البيت والآخر فى آخره سمّى مقلوباً مُجنّحاً

كأنه ذو جناحين ـ كقوله

لاح ،أنوار الهـدى من كفّه فى كل حال

واذا وَلِىَ أحد المتجانسين الآخر قيل له « المزدوج »

وان كان التركيب بحيث لو عكس حصل « بعينه » فالمستوى وهو أخصّ من المقـلوب المجنّح ، ويسمّى أيضا « ما لا يستحيـل بالانعكاس » نحو (كلٌّ فى فَلَكٍ) ونحو (ورَبَّكَ فَـكبِّرْ)

﴿ أنواع الجناس المعنوى ﴾

جناس إضمار — وجناس إشارة

(ا) « فجناس الإضمار » أن تأتى بلفظ يُحضِر فى ذهنك لفظاً اخر وذلك اللفظ المحضر يُراد به غير معناه بدلالة السّياق ـ كقوله

منعّم الجسم تحكى الماءَ رِقّته وقلبه قسوة يحكى أبا أوس

وأوس شاعر مشهور من شعراء العرب . واسم أبيه حجر . فلفظ أبى « أوس » يحضر فى الذهن اسمه وهو حجر ؛ وهو غـير مراد ؛ وإنما المراد الحجر المعلوم — وكان هذا النوع فى مبدئه مستنـكراً . ولـكن المتأخرين ولعوا به ، وقالوا منه كثيراً . فمن ذلك قول البهاء زُهير

وجاهـل طال به عنائى لازمنى وذاك من شقائى

أبغض للعين من الأقذاء أثقل من شمامة الاعداء

فهو إذا رأته عين الرائى أبو معاذ أو أخو الخنساء

(ب) « وجناس الاشارة » هو ماذكر فيه أحد الركنين ، وأشير للآخر بما يدلّ عليه — وذلك اذا لم يساعد الشعْر على التصريح به — نحو

يا حمزة اسمح بوصل وامنن علينا بقرب
في ثغرك اسمك أضحى مصحفاً وبقلبي

فقد ذكر أحد المتجانسين وهو حمزة . وأشار الى الجناس فيه بأن مصحفه ، فى ثغره ، أى حمرة — وفى قلبه ، أى جمرة

واعلم أنه لا يُستحسن الجناس إلا إذا جاء عفواً وسمح به الطّبع من غير تكلّف

(٢) ﴿ التصحيف ﴾

هو التّشابه فى الخط بين كلمتين فأكثر : بحيث لو أزيل أو غيّر نقط كلمة كانت عين الثانية ، نحو التّخلّى ، ثم التّحلّى ، ثم التّجلّى

(٣) ﴿ الازدواج ﴾

هو تجانس اللّفظين المتجاورين : نحو مَنْ جَدَّ وَجَدْ ، ومن لجَّ ولج

(٤) ﴿ السجع ﴾

هو توافق الفاصلتين فى الحرف الأخير ـ وأفضله ماتساوت فِقَرُهُ وهو ثلاثة أقسام

أولها المطرّف ـ وهو ما اختلفت فاصلتاه فى الوزن ، واتفقتا فى الحرف الأخير ، نحو قوله تعالى (مالكم لا ترجُونَ لله وَقاراً وَقَدْ خَلَقَكم أطْوَاراً)

وكقوله « أَلَمْ نَجْعَلْ الأرْضَ مِهَاداً وَالجِبَالَ أَوْتَاداً »

ثانيها المُرصّع ـ وهو ما كان فيه ألفاظ إحدى الفقرتين كلها أو أكثرها مثل مايقابلها من الفقرة الأخرى وزناً وتقفية ، كقول الحريرى ، هو يَطبع

الأسجاعَ بجواهر لفظه ، ويَقرَعُ الأسماع [١] بزواجر وعظه

ثالثها المتوازى ، وهو ما كان الاتفاق فيه فى الكلمتين الأخيرتين فقط ، نحو قوله تعالى (فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ) لاختلاف سرر وأكواب وزنا وتقفية ، ونحو قوله تعالى (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا) لاختلاف المرسلات والعاصفات وزنا فقط ، ونحو : حسد النّاطق والصّامت ، وهلك الحاسد والشّامت ـ لاختلاف ماعدا الصّامت والشّامت تقفية فقط

والأسجاع مبنية على سكون أواخرها ، وأحسن السجع ما تساوت فِقَرُهُ ، نحو قوله تعالى (فى سِدْرٍ مَخْضُودٍ ، وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ، وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) ثم ماطالت فقرته الثانية ، نحو (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) ثم ماطالت ثالثته ، نحو (النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وهُمْ على مَا يَفعلون بالمؤمنين شُهُودٌ) ولا يحسن عكسه ، لأن السامع ينتظر الى مقدار الأول ، فاذا انقطع دونه أشبه العثار [٢] ، ولا يحسن السجع إلا اذا كانت المفردات رشيقة ، والألفاظ خدم المعانى ، ودلّت كل من القرينتين على معنى غير مادلّتْ عليه الأخرى ، وحينئذ يكون حلية ظاهرة

---

(١) ولو أبدلت الاسماع بالآذان كان مثالا للأكثر : وسمى سجعا تشبيها له بسجع الحمام ، وفواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز موقوفا عليها لأن الغرض أن يزاوج بينها ولا يتم ذلك إلا بالوقف

(٢) يعنى أنه لا يحسن أن يؤتى فى السجع بفقرة أقصر مما قبلها كثيراً لان السمع اذا استوفى أمده من الاولى لطولها ثم جاءت الثانية أقصر منها يكون كالشئ المبتور

فى الكلام، والسجع موطنه النثر، وقد يجئ فى الشعر: كقوله

فنحنُ فى جزَل والرّومُ فى وجل والبرّ فى شُغلٍ والبحر فى خجل

ولايستحسن السجع أيضا إلا اذا جاء عفواً خاليا من التكلُّف والتّصنع

(٥) ﴿الموازنة﴾

هى تساوى الفاصلتين فى الوزن دون التّقفية، نحو ـ (وَنَمَارِقُ مَصفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ) فان مصفوفة ومبثوثة متفقان فى الوزن دون التّقفية، نحو: أفاد فساد وقاد فزاد وسادفجاد وعاد فأفضل

(٦) ﴿الترصيع﴾

هو توازن الألفاظ مع توافق الأعجاز أو تقاربها ـ مثال التّوافق نحو ـ «إنَّ الأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ، وَإنَّ الفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ» ـ ومثال التّقارُب نحو ـ «وَآتَيْنَاهُمَا الكِتَابَ المُسْتَبِينَ، وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ»

(٧) ﴿التشريع﴾

هو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما ـ كقوله

يا خاطبَ الدُّنيا الدَّنيَّة إنها شرك الرّدى وقرارة الأقذارِ

دار متى ما أضحكت فى يومها أبكت غداً تبًّا لها من دار

وإذا أظلَّ سحابها لم ينتفع منه صدى لجهامه الغرَّار

غاراتها لا تنقضى وأسيرها لا يُفتدَى بجلائل الأخطار

فيصح الوقوف على الأقذار، ودار، والغرار، والأخطار

فتكون من بحر الكامل، ويصح الوقوف على الرَّدى، وغدا، وصدى، ويفتدى وتكون من مجزوء الكامل — وتقرأ هكذا

يا خاطب الدُّنيا الدَّنـ ... ـيَّة انها شرك الرَّدى

دار متى ما أضحكت ... فى يومها أبكت غدا

وإذا أظلَّ سحابها ... لم ينتفع منه صدى

غاراتها لا تنقضى ... وأسيرها لايفتدى

وكقوله: يأيها الملك الذى عمَّ الورى ... ما فى الكرام له نظير يُنظرُ

لو كان مثلك آخر فى عصرنا ... ما كان فى الدنيا فقير معسر

اذ يمكن أن يقال

يأيها الملك الذى ... ما فى الكرام له نظير

لو كان مثلك آخر ... ما كان فى الدنيا فقير

(٨) ﴿لزوم مالا يلزم﴾

هو أن يجئ قبل حرف الرَّوىِّ أو مافى معناه من الفاصلة ما ليس بلازم فى التقفية كالتزام حرف وحركة أو احداهما يحصل الرَّوىُّ أو السجع بدونه ـ نحو قول الطغرائى

أصالة الرأى صانتنى عن الخَطَلِ ... وحلية الفضل زانتنى لدى العطلِ

وكقوله تعالى (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ)

وكقوله: يامُحرقا بالنّار وجْهَ محبِّه ... مهلا فان مدامعى تُطفيه

أحرقْ بها جسدى وكل جوارحى واحرص على قلبى فانك فيه

وقد يلتزم أكثر من حرف كقوله

كل واشرب الناس على خبرة فهم يمرّون ولا يعذبون

ولا تصدقهم إذا حدّثوا فأنّهم من عهدهم يكذبون

(٩) ﴿التصدير «او» رد العجز على الصدر﴾

«ا» هو فى النثر أن يُجعل أحد اللّفظين المكررين أو المُتجانسين. أو المُلحقين بهما « بأن جمعهما اشتقاق أو شبهه » أحدهما فى أول الفقرة ـ والثانى فى آخرها، نحو (وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) وقولك : سائل اللئيم يرجع . ودمعه سائل، الأول من السؤال، والثانى من السيلان

وكقوله تعالى (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً)

واللّذان يجمعهما شبه اشتقاق — نحو (قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ)

(ب) هو فى النظم أن يكون أحدهما فى آخر البيت، والآخر

إمّا فى صدر المصراع الأول، أو فى حشوه — أو فى آخره [1]

وإمّا فى صدر المصراع الثانى — نحو قوله

سريع الى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعى النّدى بسريع

وقوله ـ تمتّع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

وقوله ـ ذوائب سودٍ كالعناقد أرسلت فمن أجلها منّا النفوسُ ذوائب

---

(١) كقوله ـ ومن كان بالبيض الكواعب مغرما فما زلت بالبيض القواضب مغرما

(١٠) ﴿مالا يستحيل بالانعكاس﴾

هو كون اللفظ يقرأ طرداً وعكساً، نحو كن كما أمكنك (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)
وكقوله ـ مودّته تدوم لكلّ هولٍ وهل كلٌّ مودته تدوم

(١١) ﴿المواربة﴾

هى أن يجعل المتكلم كلامه بحيث يمكنه أن يغيّر معناه بتحريف أو تصحيف، أو غيرهما ليسلم من المؤاخذة — كقول أبى نواس

لقد ضاع شعرى على بابكم كما ضاع عقد على خالصه

فلما أنكر عليه الرشيد ذلك، قال لم أقل إلا

لقد ضاء شعرى على بابكم كما ضاء عقد على خالصه

(١٢) ﴿ائتلاف اللفظ مع اللفظ﴾

هو كون ألفاظ العبارة من واد واحد فى الغرابة والتأمل ـ كقوله تعالى (تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ) لما أتى بالتاء التى هى أغرب حروف القسم أتى «بتفتأ» التى هى أغرب أفعال الاستمرار

(١٣) ﴿التسميط﴾

هو أن يجعل الشاعر بيته على أربعة أقسام ـ ثلاثة منها على سجع واحد بخلاف قافية البيت — كقول جنوب الهذلية

وحربٍ وردْتَ وثَغْرٍ سَدَدْتَ وعِلجٍ شَدَدْتَ عليه الحِبَالا

وقول الآخر. أفى ثغره لَعَسٌ فى خدّه قَبَسٌ فى قدّه مَيَسٌ فى جسمه تَرَف

(١٤) ﴿الانسجام أو السهولة﴾

هو سلامة الألفاظ وسهولة المعانى مع جزالتهما وتناسبهما كقول الشاعر

ماوهب الله لامرئ هِبةً أفضل من عقله ومن أدبهْ

هما كمال الفتى فان فُقِدا ففقده للحياة أليق بِهْ

(١٥) ﴿الاكتفاء﴾

الاكتفاء أن يحذف الشاعر من البيت شيئا يستغنى عن ذكره بدلالة العقل عليه كقول الشاعر :

فإنّ المنيَّة من يخشَها فسوف تصادُمه أينما

أى أينما تَوجَّه (١)

---

(١) وكقوله متا للنوى ذنب ومن أهوى معى إن غاب عن إنسان عينى فهو فى

وكقوله يا لائمى فى هواها أفرطت فى اللوم جهلا

ما يعلم الشوقَ إلاّ ولا الصبابة إلاّ

وكقوله ضلوا عن الماء لما أن سروا سحرا قومى فظلوا حيارى يلهثون ظما

والله أكرمنى بالماء بعدهمُو فقلت يا ليت قومى يعلمون بما

وكقوله الدمع قاض بافتضاحى فى هوى ظبى يغار الغصن منه إذا مشى

وغدا بوجدى شاهدا وشى بما أخفى فيالله من قاض وشا

وكقوله لا أنتهى لا أنثنى لا أرعوى مادمت فى قيد الحياة ولا إذا

(١٦) ﴿التطريز﴾

هو أن يكون صدر النثر أو الشعر مشتملا على ثلاثة أسماء مختلفة المعانى ، ويكون العجز صفة متكررة بلفظ واحد كقول القائل

وتسقينى وتشرب من رحيق خليق أن يُلقّب بالخلوق
كأنّ الكأس فى يدها وفيها عقيق فى عقيق فى عقيق

نموذج

بين ما فى الأبيات الآتية من المحسنات اللفظية

(١) عضنا الدّهر بنابهْ ليت ما حل بنابهْ

(٢) الى حتفى سعى قدمى أرى قدمى أراق دمى

(٣) لئن أخطأتُ فى مدحيـــك ما أخطأتَ فى منعى
لقد أنزلتُ حاجاتى بواد غير ذى زرع

(٤) فى الحديث اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا

(٥) قد بلينا فى عصرنا بأناس يظلمون الأنام ظلما كما
يأكلون التراث أكلا لمّا ويحبّون المال حبا جما

(٦) وإن أقرّ على رَقّ أنامله أقر بالرق كُتّاب الانام له

---

(١) فيه جناس تام بين (بنابه) الاولى أحد أنياب الاسنان (بنابه) الثانية المركبة من (بنا) و (به) (٢) فيه جناس تام بين أرى قدمى أى أنظر قدمى أراق دمى أى صب وأهدر دمى أى قتلنى بلا دية (٣) فى الشطر الاخير من البيت الثانى اقتباس من الآية الكريمة (ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم) (٤) فيه سجع مرصع لان احدى الفقرتين كالثانية فى الوزن والتقفية (٥) فى البيت الثانى اقتباس من القرآن الكريم من سورة الفجر (وتأكلون التراث أكلا لمّا وتحبون المال حبّا جمّا) (٦) فيه جناس تام بين أنامله والانام له

خاتمة

﴿في السرقات الشعرية وما يتبعها﴾

السرقة — هي أن يأخذ الشخص كلام الغير وينسبه لنفسه

وهي ثلاثة أنواع : نسخ ، ومسخ ، وسلخ

(١) النسخ ويسمى انتحالاً أيضا — هو أن يأخذ السارق اللفظ والمعنى معاً ، بلا تغيير ولا تبديل ، أو بتبديل الالفاظ كلها ، أو بعضها بمرادفها ، وهذا مذموم وسرقة محضة — كما فعل عبد الله بن الزّبير بقول مَعْنَ بن أوس [1]

إذا أنت لم تُنصف أخاك وجدته ... على طَرَف الهِجران ان كان يعقل

وبركب حدَّ السيف من أن تضيمه ... اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

وأمّا تبديل الالفاظ بمرادفها — كما فعل بقول الحُطَيْئَة

دَع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

زُرَا المآثر لا تذهب لمطلبها ... واجلس فانك أنت الآكل اللابس

وقريب منه تبدل الالفاظ بضدها مع رعاية النظم والترتيب

كما فعل بقول حسّان رضى الله عنه

يبيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شُمُّ الأنوف من الطّراز الأوّلِ

---

(١) الزبير بفتح فكسر فى هذا — ووجد اسم آخر بضم ففتح — ومعن بضم وفتح — ومعن بن زائدة بفتح فسكون

فقال غيره ـ سُودالوجوه لئيمة أحسابهم فُطس الأنوف من الطّرَاز الآخر

(ب) والمسخ ـ أوالإغارة : هوأن يأخذبعض اللفظ أو يغيّر بعض النظم فان امتاز الثانى بحسن السبك فممدوح ، نحو

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللّهج

مع قول غيره

من راقب الناس مات هماً وفاز باللّذات الجسور

فان الثانى أعذب وأخصر ، وان امتاز الاول فقط فالثاني مذموم وان تساويا فالثانى لايذمّ ولا يمدح ، والفضل للسابق

(ج) والسلخ ـ ويسمى إلماماً هو أن يأخذ السّارق المعنى وحده فان امتاز الثانى فهو أبلغ ـ نحو

هو الصّنع أن يعمل نخير وان يرث فللرّيثُ فى بعض المواضع أنفع

مع قول غيره

ومن الخير بطء سَيبك عنّى أسرع السحب فى المسير الجهام

وان امتاز الاول فالثانى مذموم، وان تماثلا فهو أبعدعن الذم ـ كقوله

ولم يك أكثر الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا

مع قول الآخر : وليس بأوسعهم في الغنى ولكن معروفه أوسع

ويتّصل بالسرقات الشعرية ثمانية أمور، الاقتباس ، أوالتضمين ،والعقد والحل . والتلميح ، والابتداء ، والتّخلص ، والانتهاء

١ ـ الاقتباس ـ هوأن يضمّن المتكلم منثوره أومنظومه شيئامن القرآن أو الحديث على وجه لا يشعر بأنه منهما ، فمثاله من القرآن فى النثر

فلم يكن الا كلمح البصر أوهو أقرب. حتى أنشد فأغرب، ونحو قول الحريرى، أنا أُنبئكم بتأويله، وأُميز صحيح القول من عليله - وكقول عبد المؤمن الأصفهانى - لا تَغُرَّنَّكَ من الظَّلَمَةِ كثرة الجيوش والأنصار « إنَّمَا نُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ » — وفى الشعر قوله (١)

وثغر تنضَّد من لؤلؤ ... بألباب أهل الهوى يلعبُ
إذا ما ادلهمَّتْ خطوب الهوى ... يكاد سنا برقه يذهبُ

وقوله - ان كنت أزمعت على هجرنا ... من غير ماجُرمٍ فصبرٌ جَميل
وان تبدّلتَ بنا غيرنا ... فحسبنا اللهُ ونعم الوكيل

وقوله - لا تكن ظالماً ولا ترضى بالظُّلم وأنكِرْ بكل مايُستطاع
يوم يأتى الحساب ما لِظَلُوم ... من حميم ولا شفيع يُطاع

وكقوله - ان كانت العشاق من أشواقهم ... جعلوا النّسيم الى الحبيب رسولا
فأنا الذى أتلو لهم ياليتنى ... كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

وقوله - ارحلوا فلستُ مُسائلا عن دارهم « أنا بائِعٌ نَفسِى على آثارهم »

وقوله - ولاح بحكمتى نورُ الهدى ... في ليالى للضلالة مُدْلهمَّه
يُريدُ الجاهلون ليُطفئوهُ ... وَيَأْبى اللهُ إلاّ أنْ يُتِمّهْ

---

(١) ولا بأس بتغيير يسير فى اللفظ المقتبس للوزن أو غيره نحو

قد كان ما خفت أن يكونا ... إنا إلى الله راجعونا

وفى القرآن (إنا لله وإنا اليه راجعون) ويكون الاقتباس مذموماً فى الهزل كقوله

أوحى الى عُشّاقه طرفه ... هيهات هيهات لما توعدون
وردفه ينطق من خلفه ... لمثل هذا فليعمل العاملون

ومثاله من الحديث فى النثر قول الحريرى : شاهت الوجوه ، وقبح اللكع ومن يرجوه ـ وكقول الحريرى أيضا

وكتمان الفقر زهاده و« انتظار الفرج بالصبر » عباده

ومثاله من الحديث فى الشعر قوله

قال لى ان رقيبي سيء الخُلْق فدارهْ
قلت دعنى وجهك « الجـ ـنة حُفَّت بالمكارهْ »

وكقوله :

فلو كانت الأخلاق تُحوى وراثة ولو كانت الأراء لاتتشعبُ
لأصبح كل الناس قدضمّهم هوى كما أن كل الناس قد ضمّهم أبُ
ولكنها الأقدار « كلٌّ مُيسّر لِمَا هو مخلوق له » ومقرّبُ

وقوله :

لاتعادِ الناس فى أوطانهم فلّما يرعى غريبُ الوطنِ
واذا ماشئت عيشاً بينهم خالِقْ الناس بخلق حَسَن[1]

---

(١) وينقسم الاقتباس الى ضربين

الأول ـ ضرب منه لا ينقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الأصلى إلى معنى آخر كما تقدم

الثانى ـ ما ينقل إلى معنى آخر ، كقول ابن الرومى

لئن أخطأتُ فى مدحـــيك ما أخطأتَ فى منعى
لقد أنزلتُ حاجاتى بواد غير ذى زرع

فقد كنى بهذا الوادى عن رجل لا يرجى نفعه ولا خير فيه ، وهو فى الآية

٢ ـ والتّضمين ـ هو أن يضمّن الشاعر كلامه شعرا من شعر الغير مع التّنبيه عليه [١] إن لم يكن مشهوراً لدى نقّاد الشّعر وذوى الفطن نحو قوله

اذا ضاق صدرى وخفت العِدا تمثّلتُ بيتاً بحالى يليقُ

الكريمة وادٍ لا ماء فيه ولا نبات ، وقد أجازوا تغيير اللفظ المقتبس بزيادة فيه أو نقص أو تقديم أو تأخير ـ كما سبق

واعلم أن الاقتباس ثلاثة أقسام

مقبول ـ وهو ما كان فى الخطب والمواعظ

ومباح ـ وهو ما يكون فى الغزل والرسائل والقصص

ومردود ـ وهو ما كان فى الهزل ـ كما تقدم ذكره

(١) أما تضمينه بلا تنبيه عليه لشهرته : فكقوله

قد قلت لمّا اطلعت وجناته حول الشقيق الغض روضة آنِس

أعذاره السّارى المجول ترفّقا ما فى وقوفك ساعة من باس

فالمصراع الأخير مطلع قصيدة مشهورة لأبى تمام

ما فى وقوفك ساعة من باس تقضى حقوق الأربع الأدراس

وأحسن التضمين أن يزيد المضمن فى كلامه نكتة لاتوجد فى الاصل كالتورية والتشبيه ، كما فى قوله

إذا الوهم أبدى لى لماها وثغرها تذكّرت ما بين العُذيب وبارق

ويذكرنى من قدّها ومدامعى مجرّ عوالينا ومجرى السّوابق

فالمصرعان الأخيران مطلع قصيدة لأبى الطيب المتنبى

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجرّ عوالينا ومجرى السوابق

يريد المتنبى أنهم كانوا نزولا بين هذين الموضعين يجرون الرماح عند مطاردة

فبالله أبلغْ ما أرتجى وبالله إدفع مالا أطيق

وكقول الحريرى يحكى ماقاله الغلام الذى عرضه أبو زيد للبيع

على أنى سأنشد عند بيعى أضاعونى وأىَّ فتى أضاعوا (١)

المصراع الأخير للعرجى - وأصله

أضاعونى وأىَّ فتًى أضاعوا ليوم كَرِيهَةٍ وسِدَاد ثَغْرِ

٣ - والعقد - هو نظم النثر مطلقاً لا على وجه الاقتباس، ومن شروطه أن يُؤخذ المنثور بجملة لفظه، أو بمعظمه، فيزيد الناظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر — فعقد القرآن الكريم كقوله

أنلنى بالذى استقرضتَ خطّا وأشهِدْ معشراً قد شاهدُوه

فانّ الله خلاّق البرايا عنت لجلال هيبته الوجوه

يقول « اذا تداينتم بدين الى أجل مُسمى فاكتبوه »

وعقد الحديث الشريف كقوله

انّ القلوب لأجنادٌ مُجنّدَةٌ بالأذن من ربها تهوى وتأتلفُ

الفرسان، ويسابقون على الخيل أما الشاعر الآخر فأراد بالعذيب تصغير العذب وعنى به شفة الحبيبة، وبارق ثغرها الشبيه بالبرق؛ وبما بينهما ريقها؛ وهذه تورية بديعة نادرة فى بابها، وشبه تبختر قدّها بتمايل الرماح، وتتابع دموعه بجريان الخيل السوابق

(١) ولا بأس من التغيير اليسير كقوله

أقول لمعشر غلطوا وغضوا من الشيخ الرشيد وأنكروه

هو ابن جلا وطلاع الثنايا متى يضع العمامة تعرفوه

فما تعارف منها فهو مُؤتلف وما تناكر منها فهو مختلفُ

وكقوله

واستعمل الحلم واحفظ قول بارئنا سبحانه خلق الانسان من عَجَل

٤ ـ والحال هو نثر النظم . وانما يُقبل إذا كان جيّد السَّبك ، حسن الموقع ـ كقوله

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدَّق مَن يعتاده مِن توهُّم (١)

٥ ـ والتلميح هو الاشارة الى قصّة معلومة أو شعر مشهور ، او مثل سائر من غير ذكره ، فالأول ـ نحو

يابدر أهلك جاروا وعلّموك التجرّى وقبّحوا لك وصلى وحسّنوا لك هجرى فليفعلوا ما أرادوا فانهم أهل بدر

وكقوله (هل آمنكم عليه إلاّ كما أمنتكم على أخيه من قبل) أشار يعقوب فى كلام هنا لأولاده بالنسبة الى خيانتهم السابقة فى أمر أخيهم يوسف ـ ونحو قول الشاعر

فوالله ما أدرى أأحلام نائم ألمّت بنا أم كان فى الركب يوشع (٢)

والثانى ـ نحو

لعمرو مع الرَّمضاء والنار تلتظى أرقُّ وأحفى منك فى ساعة الكرب

---

(١) نثره ـ لما قبحت فعلاته . وحنظلت نخلاته . لم يزل سوء الظن يقتاده ، ويصدّق توهمه الذى يعتاده (٢) اشارة إلى استيقاف يوشع للشمس . يروى أنه عليه السلام قاتل الجبارين يوم الجمعة . فلما أدبرت الشمس خاف أن تغرب قبل أن يفرغ من قتالهم ويدخل يوم السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله فأبقى له الشمس حتى فرغ من قتالهم

اشارة الى قول الآخر

ألمستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

والثالث ـ نحو

من غاب عنكم نسيتموه وقلبه عندكم رهينه

أظنكم فى الوفاء ممن صُحبته صُحبة السفينه

٦ ـ وحسن الابتداء أو براعة المطلع، هو أن يُجعل أوّل الكلام رقيقا سهلا، واضح المعانى، مستقلا عمّا بعده، مناسبا للمقام، بحيث يجذب السامع الى الاصغاء بكلّيته، لأنه أول مايقرع السمع، وبه يُعرف مما عنده

قال ابن رشيق: إن حسن الافتتاح داعية الانشراح، ومطيّة النجاح ـ وذلك كقوله

المجد عوفِىَ اذ عُوفيتَ والكرم وزال عنك الى أعدائك السمم

وتزداد حسناً اذا دلّت على المقصود باشارة لطيفة — وتسمى براعة استهلال [1] وهى أن يأتى النّاظم أو النّاثر فى ابتداء كلامه بما يدلّ على مقصوده منه بالاشارة لا بالتصريح

كقول أبى محمد الخازن مُهنّئاً الصاحب ابن عباد بمولود

بُشرى فقد أنجز الاقبال ماوعدا وكوكب المجد فى أفق العلا صعدا

وقول غيره فى التهنئة ببناء قصر

---

(١) وبراعة الطلب أن يشير الطالب إلى ما فى نفسه دون أن يصرح بالطلب نحو (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى) اشارة إلى طلب النجاة لابنه وكقوله ـ وفى النفس حاجات وفيك فطانة سكوتى بيان عندها وخطاب

قصر عليه تحية وسلام خَلَعَت عليه جمالها الايام

وكقول المرحوم أحمد شوقى بك فى الرثاء

أجل وان طال الزمان موافى أخلى يديك من الخليل الوافى

وكقول آخر فى الاعتذار

لئن ألمّ فى قلبى لهيبُ فعفواً أيها الملك المَهيبُ

وقد جاء فى الأخبار أنّ الشعر قُفل . وأوّله مفتاحه

٧ ـ والتّخلص ـ هو الخروج والانتقال مما يُبتدئ به الكلام الى الغرض المقصود ، برابطة تجعل المعانى آخذاً بعضها برقاب بعض ، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من نسيب الى مدح أو غيره لشدة الالتئام والانسجام كقوله

وإذا جلست إلى المدام وشُربها فاجْعَلْ حَديثك كلّه فى الكاس

وإذا نزعت عن الغواية فليكن لله ذاك النزع لا للناس

واذا أردتَ مديحَ قومٍ لم تُلَمْ فى مدحهم فامدح بنى العباس

وقوله

دعت النوى بفرافهم فتشتّتوا وقضى الزّمان بينهم فتبدّدوا

وقد ينتقل مما افتتح به الكلام الى الغرض المقصود مباشرة بدون رابطة بينهما ، ويسمّى ذلك اقتضابا ـ كقول أبى تمام

لو رأى الله أنّ فى الشيب خيراً جاورته الأبرار فى الخلد شيبا

كل يوم تبدى صروف اللّيالى خُلقا من أبي سعيد غريبا

٨ ـ و«حسن الانتهاء» ويقال له «حسن الختام» هو أن يجعل المتكلم

آخر كلامه عذب اللفظ ، حسن السبك ، صحيح المعنى ، مشعراً بالتمام ، حتى تتحقّق براعة المقطع بحسن الختام . إذ هو آخر ما يبقى منه فى الأسماع وربما حُفظ من بين سائر الكلام لقرب العهد به

يعنى أن يكون آخر الكلام مستعذبا حسنا لتبقى لذته في الأسماع مؤذنا بالانتهاء ، بحيث لا يبقى تشوّقا الى ما وراءه ، كقول أبى نواس

وإنى جدير اذ بلّغتك بالمنى ... وأنت بما أمّلتُ فيك جدير
فان تُولنى منك الجميل فأهله ... والاّ فانى عاذرٌ وشكورُ

وقول غيره

بقيتَ بقاء الدهر يا كهف أهله ... وهذا دعاء للبريّة شامل

وقول ابن حِجّة :

عليكَ سلام نشره كلّما بدى ... به يتغالى الطّيب والمسك يختم

وقول غيره

ما أسأل الله إلا أن يدومَ لنَا ... لا أن تزيد معاليه فقد كمُلت